خطوات تصميم عنوان مقال أدبي في ضوء ثقافة البحث

(قراءة في عناوين من كتاب شعراء الجزائر في العصر الحاضر)

د:عراب أحمد

جامعة الشلف/ الجزائر

الملخص : تسعى هذه الورقة البحثية إلى تقريب جوهر الإشكال من الطالب الباحث، و مرافقته في طرح جملة من المطالب نوجزها على النحو التالي:هل يستبق العنوان إنجاز المقال أي استكتابه ؟ أم يكون تتويجا لا حقا له ؟ وعلى أي أساس يتم اختيار العنوان ؟ و ما هي الخطوات العلمية المنهجية التي يجب أن يخضع العقل لمسلماتها في تصميم العنوان، و العناوين الفرعية بعيدا عن النزعة الذاتية الاستثنائية.

Resumé :

Étapes pour concevoir le titre d'un essai littéraire à la lumière de la culture de la recherche lue dans les titres des poètes du livre de l'Algérie dans l'ère actuelle.

Ce document cherche à apporter l'essence du problème de l'étudiant chercheur, et l'accompagner dans l'introduction d'un ensemble de demandes sont résumées comme suit: Le titre précède-t-il l'achèvement de l'article? Ou sera-t-il couronné plus tard? Sur quelle base le titre est-il choisi? Quelles sont les démarches scientifiques méthodologiques que l'esprit doit soumettre à sa masculinité dans la conception du titre, et les sous-titres éloignés de la tendance subjective exceptionnelle

Mots-clés: Titre / Problème / Article / Étapes / Design / Auto-orientation

تقديم:

تمثل العنونة في كتابة المقال العلمي جزئية إستراتيجية يقتنصها كاتب المقال لاعتبارات منهجية تدخل في التشهير لمحتوى المادة العلمية على مستوى تلقي البحث(المقال)،إذ تمنحه حضورا مائزا على صعيد رسمه و بنيته، و نظرا لأهميته حققت كتب المنهجية المتخصصة في ماهيته ،و دوره الهام في توجيه نظر الباحث المبتدئ إلى فهم خطواته وآلياته في ظل تعدد أساليب الكتابة ،وتعدد مناهج البحث العلمي ووسائطه معها .

يبتدرنا سؤال وجيه و نحن نفكر في كتابة مقال أدبي في قضية من قضاياه المتشعبة، هل علينا أن نفكر في المقال أم في عنوان المقال؟، علما أن خطوات كتابة مقال ما تكون في المعتاد متيسرة للباحث لما مرّ به من تلك المقالات التي يتصفحها على شبكة التواصل أو عبر مجالات ورقية، الأمر الذي يفتح للباحث المجال واسعا عبر آليتي المقايسة و المقابسة، إذ تعد خطوات إعداد مقال ما من البديهيات إن لم تكن من أولويات الممارسة الفعلية لفعل الكتابة، غير أن عملية تصميم عنوان المقال لدى الباحثين تعد من أعسر العمليات، التي تشق عليهم، إذ ينظر للعنوان من حيث أهميته و منزلته بوصفه دالا على كفاءة الكاتب و قيمة المكتوب في نفس الوقت .

ينعكس جهد الباحث المتفوق على صفحات بحثه (مقاله) بالدرجة الأولى من حيث محتوى المادة البحثية، و طريقة توزيعها على بياض الصفحة، و مدى بلوغه النتائج المتوصل إليها ، تأكيدا منه على أصالة البحث و

التفرد فيه، و بذلك يتخلص الباحث من الخضوع و الانقياد لأفكار الباحثين السابقين حتى لا يكون نسخة مشوهة لهم ."[1]

تخضع عملية اختيار عنوان المقال و تصميمه إلى نظرة فاحصة، تأخذ من الباحث وقته و منتهى جهده، ليعلن في نهاية المطاف عن ميلاد عنوان يليق بمحتوى المقال وطبيعته ، لما يحققه من قدرة على استقطاب اهتمام الباحث القارئ ، و في نفس الوقت يعتبر من أساسيات المقال ، فقيمة المحتوى لا تقل عن قيمة العنوان ، و في المقابل قد يزري العنوان بقيمة المحتوى أو يصرف الانتباه عنه إذا أخطأ صاحبه التقدير في وضعه ، و لأجل ذلك أوقف منظرو المنهجية أقلامهم لرسم استراتيجيات تصميم العنوان ، وفق ما تتطلبه أهداف البحث العلمي ، و شرف الأمانة العلمية التي يلتزمها الطالب الباحث .

تستهوي كتابة المقال الطالب الباحث، لما توفّره من فرص للنشر و تأكيد الذات، و لما للعملية من قدرة على الإشهار لصاحب المقال، فقد ترفع من مؤشر أسهم تواصل القراء مع أعماله،الأمر الذي يدفع به إلى الاستزادة و التحكّم في مجال إخراج بحثه، فالوسائط الالكترونية تقوم بدور كبير في منح صاحب المقال الأسبقية و الأفضلية في التعريف بالمقال بمجرد التذكير بالعنوان و صاحب العنوان، ومن ثمّ تجري عملية حسابية تقتفي عبرها عدد ما وصل إليه المقال من اطلاع أعداد القراء و المعجبين، ومقدار ما رسمه من دهشته وإعجاب لدى المتلقي، و قد يصدم صاحب المقال إذا أدرك أنه قد سبق إليه، و تستمر حيرته مما يلجئه إلى الاستعانة بغيره، و في هذه الحال يفقد الباحث ثقته في نفسه، و تسقط همته في تقليد المقال بعنوان مناسب، وتفاديا للوقوع في هذا الحرج المنهجي ينبغي على الطالب الباحث أن يعتمد على نفسه في بحوثه، و أن يحسن الظن بموضوعه، و يقتنع بضرورة البحث فيه بكيفية معينة و محددة.[2]

عادة ما يستدرك الباحث نفسه بعد تحديد مجال بحثه بسؤال وجيه، مفاده كيفية الاهتداء إلى ضبط صيغة عنوان مناسب لموضوع مقال، و ما هي الضوابط الواجب مراعاتها في رسم العنوان؟ وفي أي شكل من الأشكال يجب طرحه؟.

حقيقة إن هذه الأسئلة مشروعة لدى كل باحث جاد، و لكن الأهم منها التعجيل في البحث، والشروع في تصميم عنوان لمقال اعتمادا على منهجية دقيقة، تشدّ بيد الباحث نحو توخي الموضوعية في تطريزه، وإخراجه في شكله النهائي، و قد بلغ من الدقة والفنية ما يمنحه شرف تصدير رأس الصفحة، واستزادة في توضيح العملية نقترح وضع الطالب موضع المتفرس في العنوان الأليق بالموضوع (موضوع المقال)، والإحاطة به قراءة و تعمقا، ناهيك عما توفره فهارس المكتبات من قوائم لعناوين مقالات و كتب ذات قيمة علمية، شريطة أن يكون الموضوع طريفا و جديدا، ليثير انتباه الدارسين، فلا يعقل أن يتناول طالب موضوعا استنفده الباحثون دراسة .

من المسلمات التي يجب على الباحث الإذعان لها في كتابته لعنوان مقال أدبي، ألاّ يشرع في وضع عنوان مقال تزيد كلماته عن عشر كلمات أو أكثر إلا في حالات الضرورة، كما يشترط أن تكون مفردات العنوان مهمة، إذا أمكن الاستغناء عن كلمة منها، فإن صيغة العنوان لا تستقيم بأي حالة، أما في حال كان العنوان لخبر ما يجب أن يكون العنوان جملة اسمية، مع تجنب وضع اختصارات أو أي كلمات مبهمة داخل أي عنوان، فاختيار عنوان أليق لمقالتك أهم من كتابة المقالة نفسها، فهو أول ما يحدد وجهة الشخص إذا كان سيعلن عن متابعة قراءة المقالة أم لا،لذا ينصح في تصميم العنوان بالبدء بكتابة توصف لعنوان المقال بسطر أو سطرين، ولا يحبب استخدامه من الوهلة كعنوان نهائي للمقال،إن تحديد نوع و عنوان المقال و لو بشكل أولي و قبلي يسهل عملية التركيز في وضع الخطوط الكبرى للعنوان، وينأى بالباحث عن التعرض

للحيرة و والإسهاب بتفاصيل لا تخدم الفكرة ، لذا قم بو ضع أقرب العناوين دون تكلف و تأكد من وجود علاقة وثيقة بين المقال و عنوانه.

صيغة العنوان و تركيبته اللغوية:(قراءة في عناوين كتاب شعراء الجزائر)

تقوم مقاربتنا المنهجية في هذه الدراسة على معالجة عنوان النص الشعري الجزائري، انطلاقا من وضع العين على دلالته، لأنه فنية ترتكز عليها التجربة الشعرية الجزائرية التقليدية، بكل ما يحمله دال العنوان للنص من إحالة على سبيل التضمين، فعملية تصميم العنوان في مثل هذه المناسبات الشعرية الكبرى تخضع إلى قصدية الإعلان أو الإشهار بفكرة النص الشعري ومضمونه، إذ تستأنس به القصيدة وتتساوق مع إحالته، لهذا شكل عنوان القصيدة في عينات الشعر الجزائري المنتخبة للدارسة دالا أولا من الدوال التي اختارت بها التقليدية انجاز إبدالها النصي".[3]

يشكل العنوان في تركيبته المبسطة- وفي هذه العينات بالضبط - صيغة لها مرجعيتها المعجمية بالضرورة، تعمل على محاصرة الدلالة في مؤشر إشهاري، يثير فطنة المتلقي على مستوى القراءة الأولى، بل ويجليه أمام ناظريه مسافة تدنيه من النص على سبيل المرافقة، مما يضطر بالباحث المشتغل على النص الشعري الجزائري في مقاله إلى أخذ هذه السياقات المعجمية على محمل الجد، فالعنوان المقترح للنص هو قدر القصيدة المفروض عليها بحكم التسمية والانتساب، فالمتن يستأنس به أولا ليسمى به تاليا، فعلاقة الواحد منهما بالآخر أشبه ما تكون بعلاقة الدال بمدلوله، فهو من هذا المنطلق نص موازٍ لمتن القصيدة، لما تمارسه وظيفته المرجعية من هيمنة وسلطة على المتلقي له.

تقتضي الأسبقية في مثل هذا التحليل، المقارب لبنية نص العنوان استحضار فهرست بعض العناوين، والتي ادّخرت للنص الشعري الجزائري ذاكرته، موزعة على نتاج كل شاعر، ووفق ترتيبهم على التوالي، في كتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر"[4]، معتمدين وضع تصنيف لأهم العناوين المتقاربة في الشكل والمضمون، فالعناوين ذات الطرح القومي والوطني تستأثر بالقسط الأوفر بمعدل أربعة عناوين، قد تزيد أو تنقص في مجموعة كل شاعر.

يقوم تحليلنا للعنونة في هذه العينات المقترحة على اختيار قائمة لشعراء ينتسبون في انتمائهم الفكري إلى اتجاه فني واحد، بحيث يقرب التشابه بينهم في الاهتمام والفكرة والطرح، إلى حد كبير، تنتظم في رزمة العناوين التي يرتكز الشق الأكبر منها على المركب الإسمي سواء كان ظاهرا أو مضمرا.

وفي جزء من هذه القائمة، يغيّر العنوان من حيث صيغته التركيبة ، مرتبطا بصيغة الجملة الاسمية المركبة، حيث تتوضح القصدية الأدبية من استخدام البنية اللغوية ذات التركيب الاسمي، من مسند و مسند إليه محققة الوظيفة التقريرية في بنية العنوان، وإن تنوعت صيغة هذه البنية من مركب اسنادي بسيط إلى مركب،

وهو ما سلط نظر الباحث صوب الطريقة التي اهتدى إليها الشاعر في تصميم عنوان القصيدة ،والتي على أساسها يستنبط الباحث فكرة عنوان مقاله في هذه القضية أو تلك.

ولا بأس أن نسوق بعض الأمثلة عن تشابه بعض العناوين في الاهتمام فكرة وصياغة، وهي في الغالب الأعم لا تنأى عن معالجة موضوع الصحافة الوطنية، والاحتفاء بوظيفتها التنويرية، والإشادة بدورها الريادي، ثم يتفق أن تتمخض أغلب عناوين الكتاب" شعراء الجزائر" عن مضامين تصب في إطار شعر الإصلاح، والقوميات، والوطنيات، والاجتماعيات، بالإضافة إلى عينات قليلة تحزبت لفكرة شعر الطبيعة والتأمل، والشكوى من نوب الزمان، وهي عناوين وسمت المدونة الشعرية في تلك الفترة المبكرة من عمر هذه التجربة من الممارسة الفعلية في الجزائر، كما هو منتظم في الجدول التالي:

1-محمد العيد آل خليفة 2-محمد اللقاني بن السائح 3-محمد السعيد الزاهري	1-في ذمة التاريخ - الشهاب تحي الشهاب- أسطر الكون 2- النصر العزيز- إلى الصحافة الحرة - يابلادي 3– الجزائر تحيي الجزائر- إلى الزعيم الجزائري -الناس والدهر
4-أبواليقظان 5-الشيخ العقبي 6-أحمد كاتب بن الغزالي 7-مفدي زكرياء 8-حمود رمضان	4الصحافة- مدارج الخلاص والتحرير- إنما الدنيا جهاد - تهنئة بنفي 5رثاء رشيد الخيال- صبرا على نوب الزمان- الأقلام أسلاك المناجاة 6 ا لصحافة- نحن والغرب – الفنفد والناس 7 لك الحياة – ألا في سبيل المجد- خواطر كئيبب 8 دمعة حارة- اركضوا نحو الأمام

9-محمد الهادي السنوسي 10-الأمين العمودي 11-الجنيد أحمد مكي 12-الشيخ حسن أبو الحبال 13-محمد الصالح خبشاش 14-أحمد الأكحل	9 ذكرى زهرة الأيام- من المنتقد- هي الجنة الفيحاء 10 ضاقت على ذكرماقسيت أعوام- نار عصيبة الالتهاب- الطبيعة الساحرة 11 حقيقة لاخيال- أين الجدود؟ وقفة بجبل عالي الناس 12 مسامرة القمر- ماكان لي لولا بلادي 13 ياطائرا- ذكرى الشرق - الخيار الخيار 14 حنيني إليها- نظرة الخيال في ظل الهلال- وقفة في روضة

تشير أولى قراءاتنا لعناوين المتون الشعرية، من حيث اختيار فكرة العنوان وبنيته، إلى توافق في الرؤية والتشكيل لدى شعراء الاتجاه التقليدي ، وهو ما أشارت إليه صيغة العنوان في محاولة القبض دلاليا على شرف الوظيفة الشعرية، ذات الطرح الإصلاحي والوطني القومي، فضلا عن الطرح الذاتي لبعض العناوين، وهو ما تحقق للعنونة من وظيفة على الصعيدين : المرجعي و الجمالي، ويبقى أن نلمح إلى أن هذه العناوين، وإن تباينت على أساس الإشارة إلى الوظيفة الوصفية أو الإيحائية ستظل نصوصا موازية تعرج نحو دلاليتها، وهي وظيفة نادرة في عناوين عينة المتن التقليدي".[5]

تصميم بنية العنوان و صيغته اللفظية:

تمدنا عناوين العينات المنتخبة للدراسة بمعطيات ذات أهمية، في جانبها اللغوي، والذي يرتكز في الأغلب الأعم على المركب الاسمي، وهو ما يعزز الوظيفة الوصفية المرجعية، والتي من شأنها أن تثمّن رسالة الشاعر الإصلاحية، وهو ما يتوسمه محمد بينس في هذه النقطة أن يتحقق التساوق بين البنية اللغوية للعنوان مع وظائفه"[6].

إن تناولنا لجملة العينات المنتقاة على سبيل الاستقراء العادي لها، يضعنا أمام إشكالية جدوى إقامة الفروق والبحث عن الاستثناءات، ما دامت العناوين في عمومها، تستمد من المركب الاسمي بنيتها اللغوية، كما هو ماثل في عينات محمد العيد، ومحمد اللقاني، ومحمد السعيد الزاهري، والجنيد أحمد مكي، هذا في الجزء الأول من الكتاب، وبنفس الطريقة تصدر عناوين الجزء الثاني من الكتاب مع الأمين العمودي، والمولود بن

الموهوب، والطاهر بن عبد السلام، ومحمد الصالح خبشاش وغيرهم، فإقامة العناوين على هذا المنوال له مبرراته وإن تباينت قليلا من حيث الصيغة ، فقد اتخذت أشكالا وصيغا متعددة على النحو التالي:

-على شكل صيغ طلبيه : أين الجدود؟ يابلادي – ياطائرا - اركضوا نحو الأمام -الخيار الخيار

-على شكل قائمة: مدارج الخلاص والتحرير- إنما الدنيا جهاد- ضاقت على ذكرماقسيت أعوام

- على شكل جملة مثبتة بها رسالة: إلى الصحافة الحرة- دمعة حارة

وبهذه الصورة المتساوقة مع باقي العناوين، تظهر أهمية الجانب الدعائي للمرسلة الشعرية، والذي يقوم في مثل هذه المناسبات الوطنية والدينية على إعلاء وظيفة العنوان، وإشاعة دوره الحقيقي في إقامة صلة بينه وبين النص (الرسالة)، وبينهما وبين المتلقي "والعنوان بحسب هذه الوظائف يتجه مباشرة نحو تعيين مرجعية النص، وغرضه، وذلك بالإحالة على موضوع الرسالة "[7].

يمكننا التمييز من خلال ما وصلنا من عناوين القصائد بين طائفتين من الشعراء، الأولى شغلت بتصوير هموم المجتمع ومشكلاته الاجتماعية، والتي كانت تلحّ على البيئة الجزائرية في مدنها وقراها، والثانية صرفت وجهتها إلى متابعة قضايا المجتمع، ولو بشكل مختزل فضلا عن جنوحها إلى اقتناص لحظات الهدوء، للتعبير عن وجدانياتها، معتدّة ببعض ما أتيح لها من تجارب ذاتية، والتي عبّرت عنها في نغمة عذبة ، ومن هؤلاء الشعراء نذكر محمد الهادي السنوسي والأمين العمودي والجنيد أحمد مكي و الشيخ حسن أبو الحبال و محمد الصالح خبشاش وأحمد الأكحل، وهي قصائد حاولوا من خلالها العزف على الوتر الحساس في وجدانياتهم، والنزوح قليلا عن كدر الأيام وقهر الظروف، ولا بأس أن نقف عند بعض النماذج لنلتمس تلك الفوارق، انطلاقا من الشكل الذي استقام عليه العنوان.

ومهما غلب على الشاعر الجانب الذاتي في استدعائه لمظاهر جمال الطبيعة، وما توحي به من تأمل ، فإن الغرض الذي صممت من أجله عناوين القصائد، عادة ما ينفلت من شرك الوقفة الذاتية للقصيدة، حتى لا ينجذ حبل تواصله ورسالته الإصلاحية أو الوطنية، انطلاقا من توجه عام تخضع له قصدية الشاعر، وهنا يصارحنا محمد السعيد الزاهري بموقفه الأخلاقي الرافض الخوض في مثل هذه القضايا العاطفة .

ليس فيعرف الشاعر الجزائري ما يحركه من تلك الموضوعات على خفوت نبرتها ورقة ملمسها اللغوي دافع، كما لم تكن هذه الطفرة الشعرية التي ترفرف لها روح رومانسية تمييزا عن غيرها، على المستوى الفني، لأن أطياف التقليدية بقيت جاثمة على أديم القصيدة، وإن أفصح مضمونها على غير ما ألمح به العنوان، ففي قصيدة "نظرة الخيال " لأحمد الأكحل، أو في قصيدة "ليت قومي يعلمون" لمحمد السعيد الزاهري، أو غيرهما، تبقى الإحالة المرجعية مهيمنة على دال العنوان، بحيث يكاد يغالط دلالته المرجعية للقصيدة على حد سواء، ومن هنا يمكننا أن نستخلص حقيقة هامة، تطالعنا بها هذه القصائد من خلال

عناوينها، مأتاها أن مضمون الرسالة(الإصلاحية الوطنية) حقّق للقصيدة صداها، هوأبعد مما توسمته المرسلة الشعرية في العنونة.

فحين نتتع كل أثر عن ذاتية الشاعر في المدونة الشعرية، وبالخوض من خلال البنية التركيبية للعناوين المتصدرة للمجموعتين، نجدها مقيدة بالمركب الاسمي بنسبة عالية، أي أكثر من 95% من مجموع العناوين، الأمر الذي يقلّص من مسافة الرؤية في التعاطي مع مفهوم الشعر ورسالة الشاعر، التقمص شخصية البطل المخلّص للشعب.

لذا فالتصور الغالب على جملة العناوين، هو اعتمادها على صيغة المسند والمسند إليه في المقام الأول، بالنظر إلى ما تفيده هذه البنية التركيبية من إخبار وتقريرية، وهي فنية تزيد من توطيد الصلة بين الرسالة الشعرية ومضمونها من جهة، وبين القصيدة وطقسها التقليدي من جهة أخرى.

وانطلاقا من صورة التشابه القائم بين المضمون والبنية التركيبية لدوال العناوين نلاحظ كيف تضافرت نصوص هذه العناوين على مستويين (المضمون والبنية) مبشرة بالإعلان عن ميلاد واقع شعري جديد برؤية فنية واعدة تتخذ من العنوان وسيلة لتحقيق رسالة الشعر.

ومن هنا تبنت القصيدة الإصلاحية التقليدية هذا الموقف، ودعت إليه في الكثير من المحافل والمناسبات على اختلاف نصوصها وتباين تجاربها، مجددة العهد مع التزامها الأخلاقي والأدبي مع كل محاولة شعرية، تتكرر معها في كل مناسبة دينية أو وطنية أو اجتماعية الأداة، وتتكرر نفس البنيات الأسلوبية، في أغلب النماذج الممحضة لهذه الموضوعات، إلى حدّ الابتذال، مما يعزز الاعتقاد "بارتباط الممارسات الشعرية التقليدية بالحادثة، وبالمناسبات المستجدة في تاريخ الجزائر وفي العالم الإسلامي، مما كان له صدى في المجتمع". [8]

وهنا يرجح محمد ناصر فضل ما مسّ الشعر الجزائري من تطور ملموس إلى وضع الحركة الإصلاحية عينها على الشعر، وقد تجلى ذلك في تعدد أغراض هذا الشعر تماشيا مع الواقع الاجتماعي، فكان أن ظهر الشعر الوطني الإصلاحي والاجتماعي، والسياسي، كما تطور من الناحية الفنية بعض التطور، فابتعدت القصيدة عن المقدمات التقليدية المتكلفة، وتخلصت اللغة الشعرية من لغة المنظومات العلمية والفقهية، وقد أمكن للقصيدة من القبض على السمات الفنية في المنظوم، وذلك بالاقتراب من تحقيق بعض الترابط والتنسيق في بنية القصيدة ووحدتها الموضوعية." [9]

وعلى هذا الأساس، شكّلت كل حادثة من أي نوع كانت، لحظة تأمّل في حياة الشاعر، استوقدت فيه جذوة النهوض بفكرة تاريخية، أو إصلاحية أو قومية، تجعل منها إرهاصا لاستقبال طفرة شعرية جديدة، تدخل فيها القصيدة الجزائرية أتون مرحلة التعبئة الجماهيرية، بوعي فني كبير وعمق في الرؤية والموقف السياسي،كما

تجسد بوضوح من البداية في مقدرة الشاعر على الانتقاء السليم لجزئية العنوان لما لها من دور في الارتقاء بالفكرة طرحا وعمقا وترسيما للموقف المعلن

هوامش البحث وإحالاته

[1]/ أحمد طالب :منهجية إعداد المذكرات و الرسائل الجامعية (دليل الباحث) دار الغرب للنشر و التوزيع ط3 ص31

[2] / فيصل مفتاح الحداد :منهجية البحوث و الرسائل العلمية (دراسة منهجية) منشورات جامعة قان يونس ليبيا ط1 2008 ص35

[3]- يوسف ناوري: الشعر العربي الحديث في المغرب العربي، ج 1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007، ص 165.

[4]- محمد الهادي السنوسي:شعراء الجزائر في العصر الحاضر، إعداد وتقديم عبد الله حمادي ، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط2، 2007.

[5]- ينظرمحمد بنيس: الشعر العربي الحديث (التقليدية) دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء، المغرب، ط1،1989، ص 113.

[6]- المرجع السابق، ص113.

[7]- المرجع نفسه، ص 112.

[8]- يوسف ناوري: الشعر العربي الحديث في المغرب العربي، مرجع سابق،ص 98.

[9]- محمد ناصر:الشعر الجزائري الحديث ص30.ص 31.